



## راينهارد هسه الجار الألماني ابن البلد

تُجرى اليوم السبت في برلين مراسم تشييع الكاتب والصحافي الألماني راينهارد هسه الذي كان يعدّ احد افضل الخبراء الألمان في الشؤون العربية، فضلاً عن كونه مستشاراً لرئيس الحكومة الاتحادية غيرهارد شرودر وكاتب خطباته الرئيسي.

وكان هسه قد توفي في ١١ تشرين الاول الجاري في العاصمة الألمانية عن ٤٨ عاماً. ومن المقرر ان يقيم له لاحقاً حفل تأبين في بيروت بدعوة من زوجته ماري-كلود سعيد واصدقائه الكثر في لبنان. كان لراينهارد هسه، المولود في هانوفر عام ١٩٥٦، لقاءه المبكر مع دنيا العرب اذ اكتشف "ام الدنيا" في سن المراهقة وتعلم فيها العربية، ولعل الاصح انه تعلمها في شوارع القاهرة التي عشقها. وظل طيلة حياته مغرمًا بهذه المدينة، وان وقع لاحقاً في حب مدينة عربية اخرى هي بيروت التي عرفها ايام الحرب صحافياً ناشئاً، واحب ناسها وانتهى الى مصاهرتها حين تزوج من ماري-كلود سعيد، ابنة بيروت السنوات الصاخبة.

في بيروت كما في القاهرة، كان راينهارد هسه يعرف تفاصيل التفاصيل، يتحرك في الشوارع بعفوية ابن البلد ويتعامل مع كل من يتعرف عليه وكأنه جار قديم. ولئن بقي المانياً في عقله، الا انه كان يتلذذ بالاسترسال لفوضى الحياة اليومية المشرقية، من دون تكاذب "استشراقي" ولا تملق "خواجاتي". ورغم انه تخلى عن الترحال واختار الإقامة في وطنه، فقد عرف كيف يبقى على تماس مع الشؤون العربية، وكان من قلة في الغرب تعرف عن العرب ليس فقط شجونهم السياسية، بل ايضاً همومهم الثقافية والاعلامية.

لكن هسه، ورغم اتساع معرفته العربية، لم يشأ ان يبقى اسير اختصاص واحد، فأحب ان ينوّع تجربته الصحافية مثلما نوّع المنابر التي فتحت له صفحاتها، فكانت له محطات متتالية في عدد من الجرائد والمجلات الألمانية، الى ان مكنته نجاحه من التحول صحافياً مستقلاً يستطيع ان يختار بين عروض الاستكتاب التي كانت تصل اليه. الا انه عاد وترك هذه الوضعية المريحة حين قبل بتلبية نداء المستشار الألماني شرودر.

علاقته بشرودر تعود الى مرحلة عمله في مسقطه هانوفر حيث كان مراسلاً لصحيفة "تاغزايونغ" اليسارية. كان شرودر بدأ يفرض نفسه زعيماً للمعارضة الاشتراكية المحلية قبل ان ينتصر في الانتخابات ويصبح رئيساً لحكومة ولاية ساكسونيا السفلى، وعاصمتها هانوفر. ورغم ان هسه فضل الانتقال للعيش في ميونيخ، المدينة ذات الحيوية الثقافية، بقي على صلة وثيقة بشرودر وساعده في تحرير كتابين صدرا باسم الزعيم الاشتراكي الصاعد. فكان من الطبيعي ان يلتفت اليه شرودر بعد انتصاره في الانتخابات الاتحادية وفوزه بالمستشارية فيطلب منه ان يكون كاتب خطباته الرئيسي، وهي الوظيفة التي اداها هسه طيلة الاعوام الستة الماضية وظل يمارسها على فراش المرض حتى الاسابيع الاخيرة.

غير ان هسه كان اكثر من كاتب خطابات، وقد ادى ادواراً عدة في الظل الى جانب شرودر. فكان ممثله في شبكة الحكم التقدمي التي ضمت احزاب اليسار المعتدل الحاكمة، ولا سيما حكومة "العمال الجدد" في بريطانيا بقيادة طوني بليز، والحزب الديموقراطي الاميركي المتجدد تحت لواء بيل



كلينتون، والحكومة الديمقراطية الاشتراكية في اسوج، والحزب الاشتراكي البرتغالي الخ... وكان فضلاً عن ذلك صلة الوصل بين المستشار وعالم المثقفين والباحثة الالمان، حتى امكن اعتباره مهندس صورة شرودر، على حد قول صديقه المستعرب فولكر بيرتس. واذا كان شرودر يتهمه مزاحاً بأنه يساري اكثر من اللزوم على نوقه، الا انه كان يقدر على الدوام مشورته وان لم يعتمدها بالضرورة.

وفي موازاة هذا الانغماس في السياسة الالمانية والاوروبية، كان من الطبيعي ان يؤثر راينهارد هسه في المقاربة الالمانية للشؤون العربية. واذا كان يمتنع عن تضخيم دوره في هذا المجال ويفضل التكتم عنه في معظم الاحيان ، فانه كان يجهد علناً في المقابل من اجل تحسين صورة العرب لدى النخب الالمانية ويدفع في اتجاه تعريف الالمان باصوات عربية مغايرة، سواء من خلال استكتاب مثقفين عرب في الصحف الالمانية او من خلال اشراكهم في ندوات فكرية. وفي هذا السياق، نشط في "الحوار الاعلامي العربي- الالمانى" الذي ينظمه معهد العلاقات الخارجية التابع لوزارة الخارجية فحضر كل دوراته من عمان الى هامبورغ فالقاهرة، حيث بدا على الدوام الرجل- الجسر المثالي الذي يرتاح اليه العرب ويثق بخبرته الالمان، وكان من دفع الى اختيار بيروت لاستضافة الدورة الاخيرة من دورات هذا الحوار في الربيع الماضي.

اصرار هسه الدائم على وصل ما ينقطع لم يزعزعه حدث ٩/١١ ولا زعزعته "الحرب على الارهاب"، اذ لم تنجح الهجمات الارهابية على نيويورك وواشنطن في اقناعه بتبني مقولة حرب الحضارات. واذا كانت الهجمات في ذاتها قد روعته، ولا سيما انه كانت له فرصة زيارة "الطابق صفر"، اي موقع مركز التجارة العالمي في نيويورك، بعيد الاعتداء بايام في معية المستشار شرودر، الا انه اصر على ان ثمة مكاناً للقاء.

واصدر بعد اشهر كتاباً بالالمانية حمل عنوان "الطابق صفر: الغرب والعالم الاسلامي في وجه الجهاد العالمي"، كان كناية عن رحلة في دنيا العرب حملت في طياتها دعوة ملحة الى التعاون بين العالمين "الغربي" و"الاسلامي" من اجل مواجهة القوة التدميرية لـ"الجهاد العالمي" وفي الآن نفسه السياسات الغربية المضللة بازاء الشرق الاوسط. ولعل اهم ما في كتابه كان التدليل الى حجم الممانعة العربية لقوى التدمير.

والحال ان راينهارد هسه كان يجد نفسه في هذه الاصوات العربية التي رأى فيها دليلاً على عولمة تقبل بالاختلاف، بل تحتفل بالهجانة التي كان هو يعرف فضائلها، وانغمس فيها حتى لحظاته الاخيرة فمات كما عاش متنقلاً بين لغات اربع كان يتقنها، وبين لهجتى مدينتين عربيتين عشقهما.

## سمير قصير



<b>Id-Reference</b>	<b>04-Pr-000658</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		راينهارد هسه الجار الألماني ابن البلد
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>		٢٠٠٤/١٠/٢٣ 23/10/2004
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	راينهارد هسه - غير هارد شرودر - ماري كلود سعيد - طوني بلير - بيل كلينتون - فولكر بيرتس
	<b>Locations</b>	قاهرة - لبنان - عمان - ألمانيا - واشنطن - نيويورك - برلين - بيروت - ميونيخ - هامبورغ - القاهرة
	<b>Dates</b>	1956, 11:10:2004
	<b>Themes</b>	ألمانيا - لبنان - القاهرة - ١١ أيلول - جهاد عالمي - شرق أوسط - رينهارد هسه - صحفي ألماني - استشراق - معارضة استرالية - غير هارد شرودر - حزب اشتراكي - حزب إرهاب
<b>Subject</b>		